Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فليس فى معناه أو فى صياغته ما يتميز به عن أسلوب التخاطب العادى ، وحينما يرتفع إلى أسلوب الشعر فى هذا المدح لا يستطيع أن يخفى مشاعر الكآبة والحزن التى حفل بها المطلع ، كقوله فى سياق حديثه عن الربيع والغيث الذى يمهد به للدخول فى المدح :

بكت السماءُ بها رَذاذَ دموعها فَغَدَتْ تَبَسَّمُ عن نجومِ سماء

فمع أنه يريد أن يعبر عن تألق النجوم بالابتسام ، وعن رذاذ المطر بالدموع إلا أنه لم يستطع أن يتحاشى حديث البكاء والدموع لأنه امتداد لما وصف فى المطلع من أحزان ويأس وسخط ، والشىء الذى كان مستقيم المدح فى القصيدة هو حديثه عن انتصار جيش ابن يوسف على بابك الخزمى[٤] ولكننا نلحظ بوضوح أنه يكاد يتحاشى أن يجعل من هذا النصر مفخرة للقائد والأمير ابن يوسف ، وإنما يجعله مفخرة للجيش وبطولة المقاتلين ، وكان أمرا متوقعا أن يكون البحترى صادق المشاعر فى الحديث عن هذا النصر ، لأنه كان نصرا يعنى كل المسلمين على مارق عاث فى الأرض فسادا ، وظل عشرين عاما وهو مصدر قلق للمسلمين بما ينشره بابك من فساد دينى وخلق ، ومصدر قلق لجيوش المسلمين بانتصار بابك فى كل موقعة طوال عشرين عاما ، وهنا نجد فرقا واضحا فى القصيدة بين المدح لشخص ابن يوسف وهو موضوع القصيدة ، حيث نجد المدح الحقيقى يكاد يكون معدوما ، بل لا يكاد البحترى يخفى ما هو عكس المدح ، وبين المدح لجيش ابن يوسف فى نصره على بابك الخزمى ، حيث نجد هذا المدح يحمل روح الصدق والإخلاص .

ومع أننا لا نجد فى أخبار صلة البحترى بأبى سعيد الثغرى ما يشين هذه الصلة أو يدعو إلى الاعتقاد بسوء الصلة بينهما ولو فى بعض الأحيان[٥] إلا أن المطلع يكاد يجزم بأن البحترى لم يكن حين قال هذه القصيدة يحمل للممدوح فى دخيلة نفسه حبا ولا وداً ولا رضا ، فقد رأينا فى كل ما مر بنا من مطالع كيف أن المطلع يحمل نفسية الشاعر وأعماق أحاسيسه نحو الموضوع ، ولا يوجد سبب يدعونا إلى الاعتقاد بشذوذ هذا المطلع ، خصوصا وأن البحترى من الشعراء المعروفين بوضوح نفسياتهم فى شعرهم ،